نانو أمين ...

وباختيار عشوائى ـ لا سبيل إلى الإقتناع بأن له قيمة ـ حمل أمير النحال حقيبة وزارة التضامن الاجتماعى ـ فبدلًا من الإطاحة به ـ لكثرة ما أخذ عليه من تصرفات وعلاقات مريبة توحى بالتربح والمتاجرة فى حقيبة وزارة التموين ـ تم إهداؤه وزارة أخرى.. حتى إن سؤالًا علق فى الأجواء حول مصير الاستجوابات المعلقة فى مجلس الشعب ـ والتى لم يفلح أصحابها فى محاصرة الوزير بها ـ أين سيكون مصيرها؟.. وأجاب من أجاب على هذا السؤال قائلًا: **فى سلة المهملات طبعًا.. يا بنى هذا وزير مسنود»**

وقال الوزير فى أول تصريح له بعد تسلمه الوزارة الجديدة إنه يقبل على العمل فى هذه الوزارة بروح المشتاق الذى تحققت أمنيته فى الاقتراب من المشاكل الحقيقية للجماهير المطحونة للعمل على حلها .. فمثل هؤلاء الناس المقهورين لا يمكن أن يحس بهم إلا واحد مثلهم ومن محيطهم ويعانى نفس أوجاعهم.

وفى البلد تساءل رجل فى مثل سن الوزير وأمامه الصحيفة:

ـ «ألن يكفوا عن الكذب؟»

ثم فرد الصحيفة أمام ولده وأشار بأصبعه على صورة الوزير:

ـ «هذا هو الرجل الذى قلت لك عنه، وضع لنا الطين مكان الحلوى ونحن صغار، وأكلناه علقة..»

وفى غرفة نومه أطلقت إحدى عاهراته ضحكة رقيقة انسيابية النهاية وهى تشير إلى نفس صورته الوقورة فى الصحيفة وهو أمامها نصف عار:

ـ «قل لى.. من أين تأتون بهذا الكلام.. المطحونين.. الموجوعين.. المقهورين.. حتى

صاحبك وزير الإسكان اتمسح فى الفقر وهما بيسألوه عن القصور اللى عنده.. قال إيه «لازم أسكن كويس عشان الفقير يثق إنى حاسكنه كويس».. الله يخرب بيوتكم.. ولا صاحبك وزير الصحة غاب حارم الرجالة والنسوان من الفياجرا لغاية ما قبض المعلوم من شركات الأدوية .. وصاحبك وزير الثقافة اللى مسمى الشخابيط اللى بيرسمها موسيقى بصرية . هو فى موسيقى من غير صوت؟ والنبى لما تقابله ابقى اسأله هما الموسيقى والجنس ينفع يتعملوا كتيمى؟»

ولأنه يعلم أىّ واحدة هى من نسائه البارعات سليطات اللسان، فقد اكتفى بما سمعه وهو يعلم أن مادة هذه التهكمات كلها من عنده.. فهو الذى حكى لها عن بعض مثالب وأسرار ونوادر زملائه الوزراء ومنهم الثلاثة: الإسكان، الصحة، الثقافة ولو جاءت سيرة أىّ وزير آخر فسوف يجد لديها ما تخزنه عنه من محفوظات ونوادر، هو بالطبع مصدرها.

فالعاهرة التى أذابت بمواهبها الخط الوهمى بين كونها وسيطة صفقات لعدد من الشركات التى يتربح منها ووسيلة اطلاعه على عالم البزنس المترامى، ثم هى فى النهاية حالة أنثوية ناعمة مثقفة تستطيع إطلاق مارد الجنس المأسور عنده منذ بلاهة المراهقة، وتفاهةالرجولة المصطنعة، وفجور استعراض الفحولة الغبى. هذه العاهرة تعلم أن هذا الرجل المرسوم هو ابن كلاف حقير.. وأن وزير الإسكان ابن نجار طبالى متواضع.. وتعلم أن الطريق إلى مثل هؤلاء يبدأ بإضفاء مديح العراقة على أصولهم العالية، وبعد السقوط يبدأ الحديث المباح علنا عن جذورهم المزرية، فلا خجل بين عراة السرير المشترك.. وعراة النفوس الوضيعة..

سألها ـ مواريًا بعض شكوكه ـ :

ـ «نانو أمين.. هل تعرفينها؟»

ـ «كنت أنتظر أن تسألنى عندما قرأت فى الصحف أنها ستفتتح بك المبنى الجديد لأطفال جمعيتها..»

ـ «إذن، فأنت تعرفينها..»

ـ «هى التى سعت إلى معرفتى عندما تأكدت من حقيقة قربى منك..»

ـ «هل هى نجلاء أمين النجار؟..»

ـ «بالضبط»

ـ «هل تحدثت معك بشأنى؟ أقصد ألم تقل لك شيئًا عنى؟»

ـ «كانت تخشى أن ترسل إليها مندوبًا عنك ولا تحضر بنفسك»

ـ «يظهر أن هذا ما سوف يحدث»

ـ «هل يمكننى أن أعرف السبب؟»

ـ «سأحتفظ بذلك لنفسى»

ـ «أنت حرٌّ فى رأيك ولكن أرى أن الناس لا يعلمون أن هناك سببًا خاصًّا يجعلك تفسد برنامجًا معلنًا لجمعية «نحن معك» وسوف يكون هذا سببًا فى دفعهم للبحث عن هذا السبب.. فحاول أن تعدل رأيك..»

وعدل عن رأيه..

وفى الحفل الخيرى الكبير تمنى أمير النحال لو كان قد تمسك بعدم حضور افتتاح المبنى الجديد لدار أيتام جمعية «نحن معك» التى ترأسها نجلاء النجار.. نجلاء التى ظلت طوال هذا العمر تقف خلف اسم «نانو أمين» دون أن يتأمله مرة واحدة..

فبعد افتتاح المبنى.. وفى جلسته المكرمة على رأس الصفوف أخذ يتأمل حبيبته القديمة ويتأمل جمالها الخريفى الوقور الذى لم يغرب مع مرور الزمن، واكتشف أن صورتها وهى ابنة السابعة عشرة لم تفارق خياله رغم أنه لم يلتق بها سوى لحظات خاطفة، مرة عند باب شقتها، ومرة عند باب مدرستها وهو يدس لها خطابه اللعين.

لقطتان عابرتان هما أكثر اللقطات فى عمره عذوبة وعذابًا.

أحس فى لحظة ما أن نجلاء استدرجته بنعومة لتؤدبه على مرأى من الناس.. صحيح إنه أصبح «ملقفًا» للصحفيين الشبان فى الصحف المستقلة وصحف المعارضة.. وصحيح أنه تعلم أن يكسر نصالهم المسنونة على صخرة الصمت والتجاهل عملًا بحكمة الرئاسة الذى تعلم منها أن الفضيحة فى هذا العصر صارت كالحزن تولد كبيرة ثم تتلاشى.

«فلا تعيروا اهتمامًا للفضائح واتركوها تموت مع نفسها.. « ثم علمته الرئاسة الحكيمة

ما لم يكن يعلمه عن فكرة العيار الذى لو لم يصب «يدوش»، فقد ثبت أن هذه فكرة قديمة عفى عليها الزمن لأن كثرة الأعيرة الطائشة لا تصم سوى أذن من يطلقونها..»

بالنسبه له، فقد تم إغلاق ملف آل النجار منذ زمن بعيد، فنجيب قتل نفسه بيده، ومحمد ناجى اختار مغادرة الشركة واختفى بعيدًا مع نجلاء زوجته دون أن يخشاهما، فليس لديهما إمكانية اتهامه بشىء أو قدرة الانتقام منه.. فلا أحد يعلم أن «نجيب» الذى خلع عنه الجاكت ومزق له قميصه لم يكن فى ظنه أنه سيدفع حياته ثمنًا لهذا الفعل الذى قام به تحت لافتة الحفاظ على كرامة أخته..

وبدا له أن نجلاء أسرت لمن حولها ـ ومنهم عاهرته السليطة ـ بحكايته معها ومع أسرتها، وبدا له أن كل هؤلاء الذين يجلسون خلفه فى هذا الحفل يعرفون هذه الحكاية.. لذا، فقد راح يبحث فى خطبتها عن اللكزات المختبئة خلف الكلمات.. فوجد أن السيدة لم تخرج عن حدود اللياقة حتى الآن كل ما هناك أنها تتحدث عن الطفولة وكيف تحرص فى تربية أطفال المؤسسة أن تسلمهم للمجتمع رجالًا أسوياء.

«فالرجال كما تقول نوعان: رجل سَوى، وآخر قاتل هدفه يتمثل فى القضاء على الآخرين.. وأن ضمائر الرجال نوعان: إما ضمير حى، أو لا يكون هناك ضمير على الإطلاق.. وأن الطفولة شىء رائع وإنها لجريمة أن نحرم منها الأطفال، فطفل تعيس يعنى مجتمعًا مريضًا.. وأن من بين ما تحرص عليه المؤسسة فى تربية أطفالها: أن نعلمهم ألا يرتكبوا فى رجولتهم فعلًا لا أخلاقيًا باسم الفضيلة العامة ذلك أن فضائلنا تبدأ من الطفولة، وأن الأوطان لا يمكن أن تُخدم سوى بالشجاعة الشخصية والأخلاقيات الرفيعة..»

وها هى السيدة نانو أمين تنتقل برشاقة من الحديث عن أهداف مؤسستها إلى الحديث عن نفسها كفتاة انحدرت من ظهر أب حنون علمها الحنان وأورثها العطف، وكيف أنها لم تنس ما قاله لها من أن السعادة هى الشىء الوحيد الذى يكبر إذا قسمته فيما بينك وبين الناس.

وها هى تستشهد به كشاهد حقيقى قدر له أن يقترب من أبيها التربوى الصالح..

ودق قلبه بعنف وهو يجد مضيفته تقترب بخفة من الحديث عن علاقته بأسرتها. وتوقع أن تشير بشكل ما إلى علاقته بأخيه الراحل منذ أكثر من خمسة وعشرين عامًا..

ثم تعجب أنها لم تقترب من ذكر هذه العلاقة فأيقن أن الموضوعية هي التي جرفتها بعيدًا عن هذا الموضوع الشخصي، إذن فلا مجال أن تحشره حشرًا دون سبب في كلمتها.

وصحا من خواطره على مذيع المنصة يقدمه للحضور لإلقاء كلمته.

ومن وقفته عند المنصة رنا على الحضور بنظرة هادئة، فهاله أن وجدهم جميعًا يحملون فوق أكتافهم رأسًا واحدًا هو رأس نجلاء أمين، ووجد كل رءوس نجلاء تحمل ابتسامة تحقير واستخفاف، فاستدعى كل ما يملكه من لباقة ونعومة، فقال لها عبر الحضور:

ـ « أشكرك يا سيدتي لما نلته على يدك من شرف هذه الليلة: فقد عرف هذا الحضور الكريم أنني وأنا الطالب الصغير كنت أتعامل مع والدك التربوي الفاضل.. وقد صار يحق لي أن أتباهى بهذا الأمر بأثر رجعي وأن أفخر بأنني كنت كبيرًا حتى وأنا طفل صغير، وأنني كنت أحس بقامتي العالية منذ بدايتي فترأست اتحاد طلاب الجامعة.. ثم رأست شركتي مسجلًا أنني أصغر من جلس على مقعد الرئاسة بها.. وهذا ما حدث مع منصبي الوزاري.. ولكني آخذ عليك شيئًا واحدًا هو أنك لم تتكلمي عن صداقتي بأخي الراحل نجيب أمين النجار الذي أترحم عليه هنا ثم أترحم على رقته ووداعته وتربيته العالية.. وقد تبين لي من حديثك عن المبادئ والقيم التي تزرعونها في أطفال مؤسستكم أنكم تحرصون على الأخلاقيات الحميدة وهذا شيء طيب، ولكن هل تكفي الأخلاق وحدها لمجابهة أعاصير الحياة؟.. أظن ـ وبعض الظن إثم ـ أن الأخلاق وحدها لا تكفي؛ إذ يجب أن تكتمل بخصال أخرى مثل القوة والشدة والبأس والمجابهة ، أقول ذلك يا سيدتي حتى لا يسقط أطفالك صرعى ضعفهم إذا قلب لهم الزمن وجهه. ولعل هذه كانت مأساة صديقي الخلوق نجيب أمين النجار..»

لم تصدق نجلاء أن غريمها سحب منها السجادة بهذه الوقاحة واقتحم ـ غير مبال ـ قضية انتحار شقيقها بإدانته تحت مسمى الأخلاق الفاضلة والرقة الشديدة التي عاب عليها أنها مغلفة بالضعف دون أن تكون مسلحة بالقوة.

كتمت غيظها ولم تبال بنظرات من يعرفون قصتها مع هذا الوزير الحقير، فكلهم تمنوا لـ تسلحت مضيفتهم بنفس هذا السلاح الذى يتحدث عنه ناصحها الآبق وأطلقت عليه أعيرتها أمام هذا الجمع.. وقد قالت ـ فيما بعد ـ أنها تمنت لو كانت قد استطاعت أن تفعل ذلك لولا أن حنجرتها تحجرت بفعل المفاجأة واقتربت الدموع من مآقيها بفعل الحزن على هذا الظلم الذى حيق بأخيها حتى بعد موته.

ولهذا، فقد تساءلت عن هذا القدر من الوقاحة والفجور اللذين يمكنهما أن يسكنا روح رجل ما بهذه الكيفية. ثم تساءلت عما إذا كان الشعور بالخزى أو الندم أمرًا يصعب أن يعثر عليه بعض البشر ومنهم هذا الوزير الفاجر.

ظلت إجابتها معلقة إلى أن رن هاتفها المحمول فى منتصف الليل ووجدته هو.. معالى لوزير..

ـ «يا للوقاحة»

هكذا هتفت من داخلها وهى تتلقى تقديمه لنفسه:

ـ «أنا أمير»

وكان ردها مقتضبًا لا يحمل ترحيبًا بقدر ما ينم عن قرف ظاهر:

ـ «خير»

طال صمته وكأنما فوجئ ببرود الاستقبال، ومع هذا فقد بادر بالقول:

ـ «كان من الممكن أن تختلف شكل الحياة عندى لو عرفت مبكرًا أن «نانو أمين» هى نجلاء النجار»

وسمعها زوجها ترد على متحدث منتصف الليل بهذا القول:

ـ «من فضلك.. قف عند حدك، لا تنس أنك تتحدث مع سيدة متزوجة..»

أشار لها زوجها مستفسرًا عن المتحدث، فهمست له باسمه وقبل أن يتمكن معالى الوزير من الرد عليها فوجئ بصوت رجولى:

ـ «هل من اللياقة يا محترم أن تتحدث مع سيدة فى منتصف الليل هكذا؟»

ـ «من؟.. محمد؟.. وماذا فى ذلك يا رجل؟ لسنا غرباء عن بعضنا البعض حتى تنفعل

هكذا»

ـ «إذن، فلتنه المكالمه بنفسك إنقاذًا لكرامتك»

ـ «وهل إذا أغلقت الهاتف فى وجهى سأتركك فى حالك؟»

ـ «وماذا ستفعل ؟»

ـ «أستطيع أن أسحبكما فى مكان ما أتعرف فيه على لون ملابس السيدة حرمك الداخلية»

ـ «أنت حقير.. ومن أصل حقير.. وسفالتك ليست من أصلك فقط، ولكن من موقعك كوزير حقير يحتمى فى نظام سافل»

وعندما حدث ما توقعه وأغلق الخط فى وجهه قام أمير النحال على الفور بفتح خط آخر كان طرفه البعيد شخصية أمنية مهمة، وفور أن انتهت مداعباتها الصبيانية وبعد أن جاء دور الحديث الجاد لخص الوزير مطلبه لصديقه فى جملتين:

ـ «ثبت لى بالبحث الدقيق أن السيدة نانو أمين وزوجها محمد ناجى يتلقيان دعمًا ماليًّا مشبوهًا من جهات مشبوهة.. رجالى فى الوزارة لا غبار على تحرياتهم وتقاريرهم لى.. فقم بعملك وشتت هذا النشاط المشبوه»